إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الأولى – العدد الأول – ربيع ۱۳۹۰ش / آذار ۲۰۱۱م

أضواء نقدية على رواية يوميات نائب فى الأرياف

حسن شوندى*
سيدياسر حسينى**

الملخص

لاشک فى أن رواية يوميات نائب فى الأرياف من الآثار الخالدة لتوفيق الحكيم الكاتب والفنان المعاصر فى الأدب العربى. والدليل هو أنها ترجمت إلى اللغات الأجنبية الكثيرة فى العالم وأنتجت منها الأفلام فى بعض البلدان العربية. ويتكلم توفيق الحكيم فى هذه الرواية عن بعض وجوه الحياة فى مصر لاسيما فى الأرياف. ونحن ندرس فى هذا المقال بعض العناصر الفنية للقصة، مثل: المكان والزمان، والشخصية، والحوار، والحوادث. أما المكان الذى تجرى فيه حوادث الرواية فهو ناحية من البلاد (الوجه القبلى)، وزمان وقوعها يبدأ وينتهى خلال اثنى عشر يوما من أكتوبر إلا أنّ الكاتب يسعى إلى إطلاق الزمان ولايحدده. وللرواية شخصيات يرسمها الكاتب من الناحية الداخلية، ولا الخارجية، أى يرسم ملامح شخصيات القصة بتصوير ردات أفعالها تجاه الأحداث التى تبدأ بإطلاق النار وتجرى معتمدة على الأحداث الأخرى الثانوية.

الكلمات‌الدليلية: توفيق الحكيم، الحوار، القصة، السرد، المكان، الزمان، الشخصية.

*. أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج.
**. خريج جامعة آزاد الإسلامية فى كرج.
Hsh50165@yahoo.com

تاريخ الوصول: ۱۳۸۹/۱۲/۱۵هـ. ش
تاريخ القبول: ۱۳۸۹/۱۲/۲۵هـ. ش

Archive of SID
www.SID.ir

المقدمة

إنّ العرب منذ العصر الجاهلى كان لهم قصص وأخبار، تدور حول الوقائع الحربية وتروى الأساطير القديمة، وعندما ظهر الإسلام ونزل القرآن الكريم ذكرهم فى أحسن القصص، ثمّ تكوّنت على هامش القرآن وتفسيره قصص وحكايات استمرت موضوعاتها وعناصرها من تعليم الدين الجديد. فظهرت قصص الأنبياء وقصص المعراج وسير النبى.

أمّا فى العصر الأموى فنرى القصة ظفرت بعناية كبيرة حيث صارت مهنة رسمية يشتغل بها رجال يسألون عليها الأجر وهذا ما دفع الرواة إلى الخروج إلى البادية لتأليف الروايات وجمع أخبار الأحباء والشعراء العاشقين كقصة عنترة وعبلة، وليلى ومجنون، جميل وبثينة، وكثير وعزة، وغيرهم.

وقد تطورت القصة فى العهد العباسى إذ بدأت طائفة من الكتاب ينقلون القصص الأعجمية إلى العربية حيث بلغت حوالى ستين ترجمة من أشهرها كليلة ودمنة، لعبد الله ابن المقفع حيث فتح بابا جديدا فى الأدب القصصى العربى، وألف ليلة وليلة من أصل هندى أو فارسى. ومن القصص المؤلفة التى صاغها العرب أنفسهم هى البخلاء للجاحظ، والتوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسى، ورسالة الغفران لأبى العلاء المعرّى، والمقامات لبديع الزمان الهمذانى التى هى أقرب الأنواع القصصية فى الأدب العربى إلى القصة الفنية الجديدة والتى اعتبرها بعض المستشرقين أوّل مظهر للقصة العربية.

أمّا فى عهد الأنحطاط فلانشاهد فى هذه الفترة التى امتدت ستة قرون إبداعا بارزا فى مجال القصة. أمّا القصة فى الأدب العربى الحديث فهناک خلاف رأى بين العلماء المحدثين فى نشأة القصة العربية الحديثة. «إنّ أغلب الدراسات التى تناولت هذه القضية قد اتّفقت على أنّ الرواية هى نوع أدبى وفد إلينا من الغرب بعد الاتصال الحديث به. وهذا الرأى هوالرأى الأصوب والأدقّ علميا، لأنّ الرأى الآخر والذى يرى أن الرواية هى امتداد لأنواع قصصية عربية قديمة، لايفهم الفارق الواضح بين فنية تلک الأنواع القديمة وتنوّعها، وبين الخصائص الفنية للرواية كنوع أدبى محدد. هذا بالإضافة إلى أنّه

Archive of SID

www.SID.ir

يتصور أنّ الأنواع الأدبية تسير سيرتها الحياتية المستقلة وتنقل من زمن إلى آخر بحرية مطلقة لاتقيدها حدود الزمن وتطور البشر منتجى هذه الأنواع الأدبية، أى أنهم يعزلون هذه الأنواع فى ذاتها، ويفضلونها عن تاريخيّتها التى هى المكون الأصلى لها.» (سيد البحراوى: ١٩٩٦م: ٣٧٠)

وهناک قول آخر ليحيى حقى عن الموضوع حيث يقول: القصة جاءتنا من الغرب... وأول من أقام قواعدها عندنا أفراد تأثّروا بالأدب الأروبى والأدب الفرنسى بصفة خاصة. (حقى: ١٩٨٦م: ٢) وهذه رؤية يؤكدها محمد حسين هيكل قائلا: «كما لم يكن المصريون يطلبون فى ثورتهم هذه ١٩١٩ الاعتراف باستقلالهم وسيادتهم ويطلبون حياة سياسية وصورا من الحرية السياسية على مثال ما فى العرب فلتكن مظاهر الفن مصبوبة فى قوالب غربية لتكون آية للناس جميعاً على تقدمهم وعلى أنّهم سابقون الغرب إلى ميادين الحضارة وقد يسبقونه.» (هيكل، ١٩٨٧م: ٧٥)

والذى يمكننا أن نقول إنّ الرواية العربية الحديثة ظهرت متأثرة بالأدب الغربى. فإنّها وإن كانت فى بدايتها تأثّرت بالتراث العربى القديم من ناحية المادة والمضمون، لكنّها سرعان ما انقطعت صلتها بذلک التراث، وتأثّرت إلى حدّ بعيد بالرواية الغربية مما أدّت إلى تراجع المحاولات الأولى التى ظهرت متأثّرة بالتراث القصصى والروائى العربى. فالكثير من الكتاب فى هذه الفترة شغفوا بترجمة الروايات الغربية الرومانسية. (عبد الغنى، لاتا: ٢٢)

وإننا نأتى فيما يلى بملخص من رواية يوميات نائب فى الأرياف، ثمّ ندرسها دراسة شكلية مشيراً إلى بعض عناصرها الفنّية.

ملخص الرواية

هذه الرّواية فى الحقيقة مذكرّات يومية كتبها بطل الرّواية فى حين كان هو وكيل النّائب فى إحدى الأرياف بمصر. تعتمد يوميات نائب فى الأرياف على الرّسائل والمذكّرات اليومية منذ ١١ من اكتوبر إلى ٢٢ من اكتوبر سنة ١٩٢٩م التى كتبها توفيق الحكيم، وقد

Archive of SID

www.SID.ir

ذكر فيها الأحداث التى وقعت خلال هذه الأيام فى الرّيف. إن الرواية تنقسم إلى اثنى عشر قسماً وفى كل منه يتكلم الكاتب عن قضية جديدة وقعت فى الريف والحوادث الجزئية التى ترتبط بها.

أمّا الحدث الرّئيسىّ الذى يرتبط بكل الرّوايه فهو وقوع حادث إضرام نار فى إحدى مزارع قصب . قام النائب ومعه مساعده والمأمور وكاتب التحقيق ودرويش عصفور هو الذى يلازمهم فى كلّ مهمّة... وأسرعوا نحو مكان الحادثة فصادفوا قمر الدّولة علوان، هو الذى اطلق عليه عيار نارّى وحالته سيئة وتمّ إرساله إلى المستشفى الأميرى وبدء التحقيق عن ضاربه المجهول.

بينما كان يقودهم درويش عصفور قال لهم إنكم إذا تريدون أن تعرفوا سبب الحادثة، ففتشوا عن النسوان لأن المضروب يعيش مع أمّ عجوز وأخت امراته المرحومة اسمها ريم، وهى فتاة جميلة صبية لم تبلغ السادسة عشرة من العمر، وهذه الفتاة قد جذبت رجال البوليس من وكيل النيابة نفسه إلى كاتب التحقيق إلى المأمور بجمالها الفطرى الريفى.

أمر النائب بحضور هذه البنت ولمّا جاءت سألها: ألم يخطبها خاطب؟ فكان الجواب: بلى ولكن زوج أختها قمر الدّولة علوان، وهو مقام وليها تردد فى القبول.

جاءت إشارة تليفونّية من المستشفى الأميرى أن المصاب قد أفاق من غيبوبته وذهب وكيل النائب إلى المستشفى للاستجواب عن قمر الدّولة المصاب ولمّا سأله: من ضربك؟ قال بعد جهد ومشقّة كلمة واحدة:

– ريم، وبعد ذلک لم يتكلم أبداً.

أسرع رجال الّشرطة إلى منزل ريم، ولكنها هربت مع الشّيخ عصفور وبعد أن يفتشّوا كثيرا، وجدوا الشيخ عصفور عند باب المسشفى الأميرى ولكن دون ريم، وهو يقول لم يرها لحدّ الآن.

تَمَّ إرسالُ بلاغ مجهول إلى النّائب العمومىّ فى القاهرة بأنّ الحرمة زوجة قمر الدّولة علوان المضروب كانت قد ماتت من سنتين مخنوقة، وتستر عليها حلاق الصّحة من أجل

Archive of SID

www.SID.ir

الرّشوة وأجرى دفنها بدون علم الحكومة.

فى هذا الخطاب وقائع تستدعى التحقيق ولابد من فتح المقبرة واستخراج جثّة زوجة المصاب قمر الدولة وعرضها على الطبيب الشرعى بأنّها ماتت مخنوقة أم لا؟ فقام وكيل النائب بما يلزم من إجراءات لفتح المقبرة.

وعرفوا بعد فحص الجثة بأن العظم اللامى فى العنق مكسورة، وهو الدليل الناطق على حدوث الجريمة. وهذه الكلمة كافية لتحديد الأمر بأنّ ما جاء فى البلاغ المجهول حقيقى، والوصول إلى معرفة سرّ هذه القضّية الجديدة هو مفتاح القضية الأولى دون ريب.

ولكن كيف يعثر على صاحب الخطاب؟

أسرعوا إلى القاضى الشّرعى لعله هو نفسه مرّ بخط البلاغ المجهول لأنّ الوكيل يعتقد أنّ صاحب الخطاب أزهرىّ، فليكن البحث فى دائرة المحكمة الشرعية ولكن لا فائدة فى هذا الأمر.

أمّا الطريق الوحيد فهو البحث عن الخاطب الذى كان قد تقدّم لبنت ريم، وأمروا بالاتيان بأحد الجيران لعله يعرف الخاطب، فحضرت امرأة تدّعى أنها تعرف الخاطب واسمه حسين، وأحضر كل من كان اسمه حسينا فى الريف وأوقفوا فى صف طويل ودخلت المرأة إلا أنها لاتعرف بينهم الخاطب وهذا الطريق أيضاً دون أى فائدة فى كشف الأمر.

جاءت بعد مدة إخطار من المستشفى الأميرى بوفاة قمرالدّولة علوان وبعدها وجدوا جثة ريم فى الرياح ميتة بسب الغرق وأغلقت هذه القضية ولم يعرف الفاعل أبدا.

أشار توفيق الحكيم فى هذه الرواية بأنّ نفوس الناس ليست مهمّة عند أسياد الكبار وهو يقول: «كيف يراد منّا أن نعرف متهّماً فى قضية غامضة كهذه القضية، وكلهم من المأمور والعمدة والبوليس ملبوخون من الرّأس حتى القدم فى تزييف الانتخابات.

ولو أنّ لدنيا بوليس سرى، على النظام الحديث وقاضى التّحقيق، ينقطع لقضايا الجنايات كما هو الحال فى أوروبا والعالم المتحضر إنهم هناك ينظرون إلى أرواح الناس

Archive of SID

www.SID.ir

بعين الجد أمّا هنا فى الريف فليس كذلک، وانتهى هذه القضية بذلک الإجراء: «تحفظ القضية لعدم معرفة القاتل ويكتب للمركز باستمرار البحث والتحرى.»

وأخيراً يجدر أن نذكر فى هذا المجال أهداف الكاتب من كتابة هذه الرواية وهى بيان الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافيه والاجتماعية فى مصر، ولاسيّما فى الأرياف وأيضاً إيضاح القراء بما يجرى على النظام الإدارى فى بلاد الريف وهذه الفكرة مأخوذة من الأدب الغربى الذى يميل الكتاب إليه.

بيئة الرواية

البيئة هى المكان أو الزمان الذى تجرى فيه أحداث القصص... فاختيار المكان لحوادث القصة اختيارا مناسبا يقرّب القصة من الواقعية تصديقا. (ميرصادقى، ۱۳۷۷ش: ۱۹۲)

المكان

أمّا المكان الذى يدور فيه الأحداث والشخصيات فى رواية يوميات نائب فى الأرياف، فهى ناحية من بلاد الوجه القبلى فى مصر والأمكنة التى موجودة فيها هى:

۱. المحكمة القضائية ۲. دارالنيابة ۳. دارالمركز ۴. المستشفى الأميرى ۵. المحكمة الشرعية ۶. محطة السكة الحديدية ۷. النادى.

وتكون فى أطراف هذه الأرياف مزارع القصب والفلاحون مشغولون بالزراعة. وتقوم الأسواق الأسبوعية فى الأرياف كسوق الخميس ووسوق السبت وقد وصف الكاتب البيئة هكذا:

«إنّه الآن لايكاد يرى غير مبان قليلة أكثرها متهدم، وغير هذه الجحور المسقفة بحطب القطن والذرة، يأوى إليها الفلاحون، إنها فى لونها الأغبر الأسمر لون الطين والسماء وفضلات من البهائم وفى تكدسها وتجمعها كفوراً وغربا مبعثرة على بسيط المزارع، لكنها هى نفسها قطعان من الماشية مرسلة فى الغيطان.هى كل ما تقع العين

Archive of SID

www.SID.ir

عليه فى هذه البقاع، ويزيد على كربه هذا السكون الذى يهبط على البلدة منذ الغروب.» (توفيق حكيم، ١٩٨٨م: ٦٠)

هذا تصوير من الناحية الخارجية التى رسمها الكاتب وأما إذا أردنا أن نرسم من الناحية الداخلية بيئة الرواية، فإنها هى أنّ الوجه القبلى فى مصر مملوء بالأجرام والجنايات: «إحصائية صدرت فى أروبا أو أمريكا (لست أذكر على التحقيق)، غرضها بيان الإجرام فى العالم: ورد فيها أن شيكاغو أكثر بلاد الأرض فى عدد جرائمها وتليها مباشرة أبنوب وبعدهما، بقية مدن العالم الشهيرة.

وقدحسبت وقتئذ أن أبنوب هذه مدينة فى أمريكا، لولا ملحوظة فى هامش الإحصائية ذكرت أنها من بلاد الوجه القبلى بالقطر المصرى.» (توفيق حكيم، ١٩٨٨م: ٦٠)

شئ جميل، إن هذه البلدة الصغيرة لها هذا المقام الكبير بين مدن العالم الشهيرة، وإن كان هذا المقام فى عالم الجنايات والأجرام. فى الواقع شيكاغو وأبنوب قطبا الغريزة السفلى فى العالم.

والجدير بالذكر أن الإجرام التى حدثت فى هذه البلاد هى إجرام البداوة وليست إجرام الحضارة. ويؤكد الكتاب على هذا الموضوع فى إحدى نجاواه الداخلية: «يخيل إلى أن الشكاوى لاتنزل على رأسى كالوابل أيام الأسواق؛ كأن الفلاح إنما يخرج إلى السوق من كل أسبوع يبيع كيلة ذرة ليشترى قليلاً من السكر والشاى ويملأ زجاجة السيرج، ويستكتب أحد الكتبة العمومية بلاغا أو عريضة ضد مأذون الناحية أو العمدة أو وكيل شيخ الخفر... ولعل هذا أصبح بنداً ثابتاً فى ميزانيته كل خارج إلى السوق من هولاء الفلاحين.» (المصدرالسابق: ١٨٦)

وإليک بعض المخالفات والجنح يذكر الكاتب خلال هذه الرواية:

- عدم تسجيل الكلب فى الميعاد القانونى.
- غسل الملابس فى الترعة.
- ذبح الخروف خارج السلخانة.

www.SID.ir

- عدم تقديم ابن للتعطيم.
- إحراز بندقية بدون رخصة.
- تعضيض إصبع شيخ حسن عمارة.
- ضرب الحرمة.
- شجار بالهروات بين أهل الزوج والزوجة.

إنما هى كثرة هذه الإجرام والجنايات توثر فى إزدحام المحاكم القضائية كما يصف وكيل النيابة: «وقد ملأوا المقاعد والدكك وفاض فيضهم على الأرض والممرات، فجلسوا القرفصاء كأنهم الماشية، يرفعون عيونهم الخاشعة إلى القاضى، وهو ينطق الحكم كأنه راع فى يديه عصا.» (نفس المصدر: ٣٢)

نعم وهذا الإزدحام فى المحاكم والمراكز تؤدى إلى عدم تصرف دقيق فى الشكاوى والمخالفات لأنّ القضاة ووكلاء النيابة لايستطيعون التصرف فى كثير من القضايا لعدم الوقت المكفى وكثرة أعمالهم: «يظهر أن الحضور فى جلسات المحاكم وضبط قضايا التلبس فى النهار وقيد وارد الجنح والمخالفات فى المساء والانتقال لتحقيق وقائع الجنايات بالليل، كل هذا لايكفى وكيل النيابة فى الأرياف، فهو مازال يجد وقتاً يتنفس فيه، فلتسد عليه إذن مسالك الهواء بأكوام الأوراق التافهة الآتية من المركز باسم الشكاوى والعوارض والأحوال.» (نفس المصدر: ١٧٨)

لاتوجد فى هذه البلاد أمكنة ينفق الناس أوقاتهم أيام العطلة غير ناد وإنه اسم يطلق على حجرة فى منزل عتيق وتسمى له كلوب، وهذا الكلوب هو وحده الشئ الجدير بالاحترام، وأهله رجال المركز والإدارة وطبيب المستشفى وبعض الأعيان والموظفين ويلعبون فيه الطاولة، ولايشتغلون هناك إلا باغتياب الناس. هذا ما ذكرنا هو فى الحقيقة من المكان الذى يدور فيه الأحداث والشخصيات فى روايته يوميات نائب فى الأرياف.

الزمان

وأما الزمان، فهو يبدأ وينتهى خلال اثنى عشر يوما من شهر أكتوبر: فى حين أن

www.SID.ir

رجال البوليس والموظفين والعمد ومأمور المركز ملبوخون من القدم حتى رأسهم فى تزييف الانتخابات البرلمانية فى مصر وأيضاً آخر السنة القضائية عند القضاة ووكلاء النيابة، وهناك مسألة حرية بالذكر وهى: ليس للزمن فى هذه الرواية حدود وثغور معينة لأنّ توفيق الحكيم، كتب هذه الرواية فى اثنى عشر يوما، كأنّها تشير إلى شهور السنة ولعل هذه المسألة على أن الرواية ليس زمنها فى هذه الأيام المحدودة فقط بل زمنها الممتد تاريخياً، وكما نشاهد وضع فى صدر كل يوم علامة (...) ولعّل هذه العلامة ترمز إلى عدم التحديد والتعيين للزمن فى رواية يوميات نائب فى الأرياف، وربما إنها ترتبط بحياة الناس فى كل الدهر.

«إذ بعد أسبوع تبدأ السنة القضائية الجديدة؛ ومعنى هذا أنه لاينبغى أن تبقى عندى قضية واحدة لم يتم التصرف فيها من العام المنصرم ومعنى هذا أيضاً أنه يجب أن أحبس نفسى طول هذا الأسبوع التى فاضت بها خزائنى.» (المصدر السابق: ١٧٧)

على كل حال، إذا نريد أن نصف هذه البيئة ملخصاً نستطيع أن نقول هذا: الوجه القبلى بمصر؛ الأرياف مملوءة بالإجرام والجنح والجنايات والمخالفات والمحاكم القضائية مزدحمة جداً، والرؤساء وذوو المقدرة السياسية يظلمون الناس ومرؤسيهم. والفلاحون وعوام الناس يعيشون فى ضنک ومشقة، والجهل والفقر مسيطران على البلاد والأجهزة الرئيسية متورطة فى تزييف الانتخابات وفى هذه البيئة تحركت أحداث الرواية وشخصياتها.

الشخصيات

«الشخصيات القصصية هى التى تحمل الحدث القصصى وتطوّرها من بدايته إلى وسطه أو حبكته حيث الأزمة، فالنهاية حيث تنحل عقدة القصة ويشبع القارئ فضوله.» (جمع من المؤلفين، لاتا: ٣٦٨)

وتدرس شخصيات القصة من زوايا مختلفة. فهى تنقسم إلى أقسام منها: الأصلية والفرعية، الملتزمة بالقيم وغير الملتزمة بها، الديناميكيّة وغير الديناميكية، الوضعية

Archive of SID

www.SID.ir

والتقليدية، التمثيلية أو النوعية، البسيطة والمعقدة، الثابتة والموسّعة، وما إلى ذلک. (ميرصادقی، ۱۳۸۵ش: ۸۳-۱۱۴)

کم عدد الشخصيات فی رواية يوميات نائب فی الأرياف؟

فی الرواية أكثر من عشر شخصيات وردت أسماؤها فيها أهمها:

۱. وكيل النيابة

۲. درويش عصفور أو الشيخ عصفور

۳. ريم

۴. مأمور المركز

۵. مساعد النيابة

۶. قمر الدولة علوان

هؤلاء كلهم الشخصيات الرئيسية فی هذه الرواية، وكل الأحداث تدور حولهم ولكل منهم دور خاص فی الرواية.

وقد رسم الكاتب شخصيات روائية بطريقة تمثيلية فی كثير من الأحيان؛ أی إنه قد رسم الشخصيات من الناحية الداخليّة ولا الخارجية. وفی الواقع إن الكاتب قد رسم ملامح شخصياته بتصوير ردات أفعالها تجاه الأحداث معتمداً على الحوار، والنجوى الداخلية تارة والوصف تارة أخرى.

وكما ذكرنا فی تمهيد الرواية، كل ما حدث فی الرواية وأيضا الشخصيات ودورهم وما سرد الكاتب، من أرض الواقع والحقيقة لأنه كان فی الواقع وكيل النائب فی إحدى الأرياف بمدينة طنطا، وأنه كتب واقع حياته فی هذه المدينة وأريافها. ونشير إلى بعض الشخصيات فی الرواية فيما يلی:

وكيل النيابة

بطل الرواية هو وكيل النيابة وإنه من الشخصيات الأساسية والمحورية لهذه الرواية وتدور الأحداث والشخصيات الأخرى حوله كثيراً. هو رجل يعمل كوكيل نائب فی

Archive of SID

www.SID.ir

وزارة الحقانية وأرسل إلى إحدى الأرياف وإنه قد كتب ما حدث له خلال اثنى عشر يوماً فى الريف. ودوره هام فى اتصال الأحداث بعضهم ببعض هو نائب مفكر، بارع، ذوملاحظة، رقيق الإحساس ودقيق العمل ومن أصحاب الهمم خصوصاً فى الشكاوى الإدارية وسرعة التصرف فيها، كما يشير نفسه إلى هذا الموضوع قائلاً:

«أنا أقرأ الشكوى من آخرها لا من أولها وهذا صحيح، فأنا لست مجنونا حتى أقرأ الأوراق من أولها كما يقرأ الناس والعقلاء وأنا عادة أنظر فى الحال إلى السطر الأخير ففيه لب الموضوع.» (توفيق الحكيم، ١٩٨٨م: ١٨٣)

ما كان يحب أن يذهب إلى النادى، كرجال المركز والمأمور وهذا الأمر، ما كان سببه كثرة أعماله بل هو يعتقد أن شأن النيابة أجل من الذهاب إلى الملاهى كما يقول:

«لقد قلت لمساعدى إنى شخصيا أفضّل أن يكون عضو النيابة بعيداً عن كل هذه إذا كان يريد أن يبجّله الجميع.» (المصدر السابق: ٦١)

إن شخصية وكيل النيابة ممزوجة بالعاطفة والخيال والتفكر، وهو يعتقد أن الجمال مقترن بالفضيلة. والجدير بالذكر، أن شخصيته ثابتة فى الرواية ولاتتغير من البدء حتى النهاية.

ومن المستحسن أن نتكلم فى هذا المجال عن العلاقات فيما بين شخصية النائب وبين الشخصيات الأصلية فى الرواية، ولاسيما؛ درويش عصفور وريم.

ما هى العلاقة بين وكيل النيابة ودرويش عصفور فى الرواية؟

قد يرى وكيل النيابة فى بداية الأمر أن درويش عصفور هو مجنون فقط ولايعتمد على كلامه وإشاراته وأشعاره، ولكن كلما يمضى الرواية إلى الأمام يفهم الوكيل أن درويش هو مفتاح لحل هذه القضية الغامضة ويحاول بأشتات الطرق أن يطلب المساعدة منه ولكن لم يساعد.

ما هى العلاقة بين وكيل النيابة وريم فى الرواية؟

إن وكيل النيابة يؤكد على أن التحقيق طاب وحلا عندما دخلت ريم فى القصة: «وأنعشنى قليلاً مرأى الفتاة كما ينتعش العشب الذابل بقطرات الندى.» (المصدر نفسه:

www.SID.ir

(۴۴

هذا الأمر أولاً بسبب جمالها وثانياً أنها هى سر القضية: «ولم يكن فى عقلى وقتئذ غير صورة الفتاة فى إطارها الأسود وسرها الذى لم أنفذ إليه بعد.»

وفى الواقع إن ريم شرّدت خاطر الوكيل وحتى فى عالم الخيال هو يفتكر إلى هذه البنية الرقيقة: «قمت عطشان فشربت جرعة من قلة الفخار بالنافذة وتذكرت الفتاة تخيلتها فى بيت صاحبنا، فنفر من رأسى النوم.» (المصدر نفسه: ۲۱)

نحن لاندرى وربّما بينهم علاقة عاطفية وغرامية. يبدو أن فى هذه الرواية مجهولات كثيرة لم تحلّ حتى فى نهاية الرواية وهذا الأمر أيضا واحد من تلك المجهولات: «ولم يمض قليل حتى كنت فى حجرتى جالسا إلى مكتبى أطيل النظر إلى الباب، نافذ البصر منتظر قدوم الفتاة كأنه موعد اللقاء.» (المصدر نفسه: ۸۱)

وحينما أخبر وكيل النيابة بأن الفتاة قد ماتت بسبب الغرق فى الترعة، حزن كثيراً: إليک قول الكاتب بعد وفاة ريم:

«وأطرقت قليلاً فى سوء حظنا لا من حيث العمل، ولا لأنّ ريم مفتاح من مفاتيح القضية؛ بل لأنها كانت صورة بديعية هزت نفوسنا جميعاً، عاقلنا ومجنوننا ومخلوقاً حلواً، منحنا أويقات حلوة ولحظات مشرقة ونسيماً عليلاً هب على صحراء حياتنا العاطفية المجدية فى هذا الريف القفر.» (المصدر السابق: ۱۶۵)

درويش عصفور

درويش عصفور أو شيخ عصفور هو من الشخصيات المحورية فى رواية يوميات، وفى الواقع إنه شخصية معقدة كما يسرد الكاتب: «إنه الرجل العجيب الذى يهيم على وجهه بالليل والنهار، لايعرف النوم، يغنى عين الأغنية ويلفظ كلمات ويلقى بتنبئوات، يصغى إليه الناس.» (المصدر نفسه: ۸)

هو يعرف كل رجال الحفظ، وقام معهم إلى المهمة مرات كثيرة ويساعدهم كثيراً، فى الحقيقة إنه من أسرة البوليس:

«ذلک الرجل الذى لايفرحه شئ مثل خروجه إلى الحوادث مع النيابة والبوليس؛

Archive of SID

www.SID.ir

فهو يسمع عن بعد بوق البوكس فورد ويتبعه أينما ذهب كالكلب الذى يتبع سيده إلى الصيد...» (المصدر نفسه: ۹)

يبدو أن درويش عصفور يعرف أسرار القضية التى يبحث عنها النيابة ورجال البوليس، وأنه يرشدهم بالأغنية عندما يقرأ عليهم، ولكنهم لايهتمون بهذه الأغنية وهم يرون أن الشيخ عصفور هو مجنون ولايعتمدون عليه: «هذا الشيخ الأخضر من فصيلة الببغاء ولا شک، يردد الألفاظ والأغانى دون أن يعنى بها شيئاً من الأشياء.» (المصدر نفسه:۲۰)

هناک مسألة وهى العلاقة بين درويش عصفور وريم، ولعّل الشيخ عصفور لديه نوع من التعصب مقرونا بالتحبب بالنسبة إلى ريم، ونحن نلتفت ذلک من حركاته وأعماله خلال الرواية. «حتى درويش عصفور، وقد زحف خلفى، ودلف إلى الحجرة وظهر فى عينه القلق...» (المصدر نفسه: ۴۵)

والعجيب هو أن الشيخ يخطف ريم، وهى تذهب معه راضية. وربّما ذهبت ريم معه إلى المستشفى حتى تسأل عن حال المريض قمر الدولة علوان: «فلقد لمحت تحت الجدار على بعد قصبة من الناس، الشيخ عصفور جالساً إلى الأرض وهو مطرق ينكت التراب بطرف عوده وبجواره الفتاة ريم، وقد أسندت رأسها إلى الحائط تعبا وإعياء، أو كآبة وحزنا...» (المصدر نفسه: ۷۸)

«أما درويش عصفور فقد زحف حتى بلغ إلى موضع قدمى الكاتب وجلس مثل كلب ينظر البنت، وفمه مفتوح انبهارا بجمالها.» (المصدر نفسه: ۱۴)

وقد تكون العلاقة بين درويش عصفور وريم فى الرواية، لأنه غضب حينما سمع اقتراح حضرة المامور بأن تنام ريم فى بيته لتكميل التحقيقات حول قضية قمر الدولة:

المسألة الهامة ألتى حرىّ بنا أن نذكر هى أن فى كل الرواية أينما يتكلم الكاتب عن درويش عصفور ذكر معه عوده الأخضر ولكن فى نهاية الرواية وقتئذ سمعوا خبر وفاة ريم، ووصفه الكاتب دون عوده:

«فإذا بنا نرى الشيخ عصفور يجرى فى الطريق عارى الرأس بدون عوده الأخضر، الصبية والغلمان وجمع من الأهالى خلفه وهو يصيح كالمجنون...» (المصدر السابق:۱۷۴)

Archive of SID

www.SID.ir

لعل بين الشيخ عصفور وعوده الأخضر وأيضا حياة ريم، علاقة معنوية وهذه أيضا مسألة مجهولة أخرى لم يتكشف سره فى نهاية الأمر وها هو السؤال من جانب وكيل النيابه وإجابة الشيخ:

«ريم يا سيدنا الشيخ... نفسک ويانا فى مسألة البنت ريم، فهز الرجل رأسه؛ ولوح بعوده وقال متمرنماً:

ايــش راح ينوبــک مــن الشــيکان ويفيــدک
ليــه مــا حکمتــش على طيرک وهو فى ايدک...»

(المصدر نفسه: ۱۵۸)

وفى الأخير، إن الشيخ عصفور رجل ذكى ذو إحساس وعالم بما يجرى حوله ودوره هامّ فى الرواية ولاشک أنه يعلم كل أسرار القضية، أو على الأقل قد اطلع على سر الفتاة ويلمح بإشاراته وأشعاره، ولكن لايهتمون به ولكلامه وهذا الأمر يؤدى فى النهاية إلى أنهم لم يعرفوا ولن يعرفوا سر هذه القضية الغامضة وسوف تبقى مجهولة إلى الأبد.

ريم:

ما ملامح شخصية ريم فى روايته يوميات نائب فى الأرياف؟

ريم بنت فى السادسة عشرة من عمرها، شديدة الجمال كأنها دمية شبه الكاتب وجهها الأبيض بالعاج فى وسط أبنوس لباسها أسود: «لم ترعينى، منذ وجودى فى الريف، أجمل منها وجهاً ولا أرشق منها قدا...» (المصدر نفسه: ۲۱)

إن الكاتب يصف جمالها إلى حد، حينما يريد الدخول على الرجال فى دار العمدة وهم جالسون هنا للاستجواب عنها حول حادثه إصابة قمر الدولة علوان، فما إن رآها النائب حتى ارتج عليه فى التحقيق لأول مرة، وعندما رآها كاتب التحقيق سعيد أفندى حملق إليها ولم يعد ألمس ورقته، أما مساعد النيابة فقد أفاق من نومه ونشط وأخذ يرمق الصبية بعينيه الواسعتين والمأمور أيضا كباقى الناظرين.

إنها من أهل المضروب (قمر الدوله علوان) وهى أخت امرأته المرحومة التى ماتت قبل سنتين. وقمر الدولة فى مقام وليها. ولكن قمر الدولة بعد أن أطلق عليه عيار نارى

Archive of SID

www.SID.ir

وتم انتقاله إلى المستشفى، أفاق من غيبوبته ولما سئل عن الضارب فاه بكلمة واحدة ريم.

ولكن كيف يمكن أن يرتكب هذا الجمال جريمة؟ أهى مجرمة؟ يعتقد الكاتب أن الجمال مقترن بالفضيلة:

«ولكن ما بال الفتاة صرفت وذهلت إذ علمت بالجناية أول مرة؟ أهو تصنع وتمثيل؟ لقد خلعت آهتها قلبى خلعا فى تلك الليلة...» (المصدر السابق: ٧٧)

ويؤكد الكاتب فى مكان آخر:

«فإن كان مكر مثل هذه البنية الرقيقة، يجوز على أمثالنا فأحرى بنا أن توضع أمامنا مرابط البقر، لا أن توضع أمامنا نفوس الناس نستطلع مجاهلها ونستكشف أسرارها.» (المصدر نفسه: ٧٨)

يقول الكاتب إن ريم ذهبت مع الشيخ عصفور إلى المستشفى لتسأل عن حال المريض قمر الدولة، وأنها أخذت من الشيخ الأخضر دليلاً ومعيناً، ولاتهرب معه.

يبدو أن شخصية هذه المرأة المعقدة كشخصية الشيخ غامضة، ولكن دورها فى الرواية هامة جدا، وكل الأحداث تدور حولها وأنها فى النهاية ماتت مغروقة، كما أن أخته ماتت مخنوقة، ولم نعرف بعد قراءة الرواية سرها والأسرار الأخرى الموجودة فى هذه الرواية الغامضة.

مأمور المركز

مأمور المركز من الشخصيات المعارضة فى رواية يوميات إنه ذومقدرة سياسية ورئيس رجال البوليس، وشغله الشاغل الاختلاف إلى النادى مع رجال الإدارة وهناك يلعب الطاولة: «فسألت عن المأمور... فقالوا: إنهم لم يروه وإنهم يعجبون لغيابه عن النادى حتى هذه الساعة...»

والمأمور أثناء التحقيق عن القضية المذكورة تعجبه ريم واقترح لمواصلة التحقيق عن القضية بأن تنام فى بيته كما ورد فى الرواية: «هنا صاح المأموركمن وجد الحل السعيد

www.SID.ir

الموفق: المسألة بسيطة... البنت تنام فی بيتی للصبح...»

والأمر نهاية يكون كذلک ولكن عندما غادرت ريم بيته غداً، لم تعد ولم يرها أحد حتی وجدت جثتها فی الترعة. لم يكن دور المأمور واسعاً فی الرواية، إنه شخصية معارضة للقصة ومعارضته مع وكيل النيابة بطل الرواية، ورجال العدل، وكان دوره ثانوياً ولكن ساعد فی بعض المراحل علی تطوير الأحداث.

مساعد النيابة

إنه رجل شاب رقيق الهاشية، حديث العهد بالعمل، ومن الشخصيات المساعدة لهذه الرواية، إنه قدأوصی إلی وكيل النيابة أن يصطحبه فی الوقايع ليكتسب النجدة والمران. إنّه شاب ذكی ولديه قوة الملاحظة وهو علی قسط وافر من الذكاء كما قال الكاتب: «فأطرق قليلا ثمّ رفع رأسه وأخبرنی، إنه لاحظ أمرا استوقف تفكيره فی جلسة الجنايات، اولئک لمستشارين ينطقون بادئ بدء الحكم ثم ينصرفون بعد ذلک إلی كتاب الأسباب والمنطق الذی يتصور هو أن يكون الأمر علی العكس، ملاحظة قيمة...» (توفيق الحكيم، ۱۹۸۸م: ۱۴۳) علی كل حال كان للمساعد دور ثانوی فی رواية يوميات نائب فی الأرياف.

قمر الدولة علوان

إنه فلاح ريفی، قارب الأربعين، وسيم، قسيم، ذوشارب لونه يميل إلی الصفرة، وعندما اجتاز جسر الترعة أطلق عليه عيار نارى وتمّ نقله إلی المستشفی وبعد مدة مات بسبب جراحاته العميقة وليس له دور خاص فی الرواية. ولكن أهميته لدينا هو أن الأحداث تبدأ، بإصابته فقط وفی الواقع هو من الشخصيات الهامشية فی الرواية.

وأخيرا هناک شخصيات لايمثلون دورا جديرا بالذكر فی روايتنا ونحن نكتفی بذكر أسمائهم فقط:

۱. المحضر (قزمان الأفندی) ۲. رئيس القلم الجنائی (عبد المقصود الأفندی) ۳.

Archive of SID

www.SID.ir

كاتب التحقيق (سعيد الأفندى) ۴. فراش المحكمة (الحاج خميس) ۵. ملاحظ النقطة ۶. الباشجاويش عبد النبى ۷. معاون المركز ۸. مدير المركز ۹. القاضى المسرع ۱۰. القاضى الموسوس.

وأيضاً هناك شخصيات يذكر الكاتب انتماءهم المهنى دون أسماءهم كرجال البوليس ورجال العدل و...

الحدث

هو حدث واحد أو جملة أحداث متشابكة مترابطة يسوقها الكاتب بفنية عالية وصولاً بها إلى هدفه أو إلى فكرته التى يريد أن يضعها فيعرفها القارئ. (جمع من المؤلفين، لاتا، ج۲: ۳۶۵)

فى هذه الرواية أحداث كثيرة ولكن فى البداية نحن نقوم بذكر الأحداث الرئيسية التى لها دور واسع فى هذه الرواية، وفى النهاية سنتكلم عن الأحداث الأخرى الثانوية التى ليس لها دور خاص فى الرواية.

الأحداث الرئيسية فى رواية يوميات نائب فى الأرياف:

أ: إطلاق عيار نارى على قمر الدولة علوان

أما الحادثة الأصلية فهى إطلاق النار على قمر الدولة علوان فى إحدى مزارع قصب:

«الليلة؛ الساعة ۸ مساء، بينما كان المدعو قمر الدولة علوان ماشياً على الجسر بالقرب من دايرة الناحية أطلق عليه عيار نارى من مزرعة قصب والفاعل المجهول وبسؤال المصاب لم يعط منطقاً وحالته سيئة.» (المصدر السابق: ۶)

ب: إختفاء ريم من يد رجال البوليس

ريم هى أخت قمر الدولة المرحومة، وجيء بها إلى دار النيابة للاستجواب عنها حول الحادثة وهى تنام فى بيت مأمور المركز، لاستكمال مراحل التحقيق ولكنها هربت مع

Archive of SID

www.SID.ir

الشيخ عصفور واختفت من يد رجال البوليس، وهنا بدأت أزمة الرواية لأنها هى الشاهدة الوحيدة لهذه القضية الغامضة.

ج: إرسال بلاغ مجهول من النائب العمومى

هى أن زوجة المصاب قمر الدولة، ماتت مخنوقة قبل سنتين وتستر عليها حلاق الصحة من أجل الرشوة وأجرى دفنها بدون علم الحكومة وبعد فحص جثة زوجة قمر الدولة علوان، ينكشف الأمر بأن ما جاء فى البلاغ حقيقى ودليله الناطق على حدوث الجريمة أن العظم اللامى فى العنق مكسورة، وهنا تشتد أزمة الرواية وتصل إلى نهايتها لأن القضية كلما تمضى إلى الأمام تزداد مجهولاتها.

د: وفاة قمر الدولة علوان

وبعد فترة قليلة جاءت إشارة من المستشفى الأميرى بوفاة قمر الدولة علوان دون أن يتكلم أبداً ولايعرف منه أسرار القضية.

هـ: وفاة ريم

وأخيرا جاءت بعد أيام إشارة تليفونية إلى دار النيابة بوفاة ريم فى الرياح القبلى فى البلد. ولن تحلل هذه القضية الغامضة إلى الأبد، وكتبت على قضية قمر الدولة علوان، تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل.

هذه الأحداث التى ذكرناها، لها دور واسع فى الرواية ولكن هناك بعض الأحداث الثانوية التى نذكرها باختصار للاطلاع فحسب.

الأحداث الثانوية فى رواية يوميات نائب فى الأرياف

أ: حادثة عضة عجوز على إصبع شيخ حسن عمارة... وهى جدال بين أهل الزوج والزوجة فى دفع المهر.

ب: حادثة شجار بالهروات وقع بين والد ست ابوها، وبين أهل الزوج السيد حريشة، فلقد تمّ الزواج بينهم آخر الأمر.

ج: حادثة سقوط كيس كبير بمختلف الملابس والأحذية من السيارة التى تجتاز على

Archive of SID

www.SID.ir

جسر الترعة فى الريف.

د: وقوع حادثة التسمم فى دائرة المركز، فهى امرأة تناولت من مطلقها فطيرة، فظهرت عليها الإعراض وهى تتهمه بتسميمها للتخلص من النفقه الشرعية.

هـ: حادثة سرقة وابورغازى بناره أمام حانوت فى القرية.

و: حادثة شجار بين القاضى الشرعى والأجزجى.

ز: الحوادث التى ترتبط بإعطاء الأصوات والانتخابات فى الأرياف.

وأخيراً نذكر موضوعا، وهو أن كل الحوادث التى شرحنا فى هذا المقال حقيقى، لأنها مستمدة من واقع حياة الكاتب وأيضاً كل هذه الرواية حقيقية لأنها يوميات الكاتب الفنان توفيق الحكيم.

الحوار

يعد الحوار من أهم عناصر الفن القصصى، وفى الواقع إن الرواية التى ليس فيها الحوار لاتعد رواية، لأنها واقع حياة الناس ولايمكن أن نتكلم عن حياة الناس ووقائعهم دون الإشاره إلى المحاورات التى تجرى بينهم. ولا شک أن الكاتب لايستطيع أن يكتب رواية كاملة وجيدة دون استخدام الحوار فيها لأنه من العناصر الرئيسة فى كتابة القصة.

وإذا دققنا فى هذه الرواية نرى أن للحوار دوراً واسعاً، وهنا نذكر بعض المحاورات الموجودة فى هذه الرواية كنماذج فنية دلالة على التزام الكاتب بهذا الأسلوب ولكى يبيّن لنا مكانة هذا العمل القصصى فى رواية يوميات:

«يا قمر الدولة... من ضربک؟

فلم يجب... فأعدت السوال ففتح شفتيه ولم يقل شيئا... فألححت عليه فبذل جهداً ظاهراً وقال كلمة واحدة:

– ريم!

فدهشت قليلاً والتفتّ يمنة ويسرة، فوجهت المأمور وسكرتير التحقيق شأنها شأنى فى الاهتمام بالأمر، والعجب له فنظرت فى وجه المصاب وقلت:

www.SID.ir

– وضح غرضک يا قمر!

فلم يجب.

– قصدک أن ريم هی نفسها؟...

فلم يبد حراکا...

– يا قمر، يا علوان، تکلم... لا بد أنک تتکلم... کلمة واحدة الضارب!... من الضارب؟...

ولکننا نطلب المستحيل... فقد أغمض عينيه، وقد تفصد جبينه عرقاً، فجذبنی الحکيم باشی من يدی بعيداً وقال:

– کفاية!...

فنظرت إلی المأمور يأسا:

– کفاية؟!...

وهل ظفرنا نحن بشیء؟... لقد کان موقفنا عند دخولنا أوضح منه الآن... إنها کلمة لفظها هذا الفم الجاف بعد جهد، ليته لم يلفظها...» (توفيق الحکيم، ۱۹۸۸م: ۵۸)

هذا المثال، محاورة بين وکيل النيابة وقمر الدولة علوان المصاب فی المستشفی الأميری، بعد أن أفاق من غيبوبته وبعد سماحة الطبيب للاستجواب عنه، وکما نری فی المثال المذکور بأن الحوار هام جداً فی بناء القصة وحبکتها لأنه يؤدّی إلی تفاقم أزمة الرواية.

ونشاهد فی بعض الأحيان بأن الحوار لايکون له دوٌر ظاهریٌ بل يرتبط ارتباطا معنويا بالأحداث والشخصيات، کما نری فی النموذج التالی:

«– بلغک يا حضرة المأمور أن أحد المحضرين ضربوه وحبسوه أثناء تأدية وظيفة؟

– فأجاب من فوره:

– ما عنديش خبر:

– حصل تبليغ للمرکز...

Archive of SID

www.SID.ir

– لو كنا حصل كنا ظبطنا لها واقعة، وعملنا قضية.

– بالتاكيد...

أطرقت قليلاً وفكرّ المأمور لحظة ثم قال:

– حد بلغ سعادتک بشى؟

– لو كان حد بلغى كنت فى الحال باشرت التحقيق...

– مؤكد؟

– المسألة يظهر أنها مجرد إشاعة...» (المصدر نفسه: ١٥٧)

وهذا الحوار يجرى بين وكيل النيابة ومأمور المركز، وهما من الشخصيات الأساسية والمعارضة فى الرواية وفى هذا النموذج لم نشاهد ارتباطاً ظاهرياً فى شكل الرواية، ولكنه يرتبط بمضمون الرواية؛ ومر اصطدام العقليتين، المأمور والوكيل.

فى الواقع إن هذا الحوار لايرتبط بأحداث الرواية ولكن يوضح للقارئ، العلاقة ما بين الوكيل والمأمور فى رواية يوميات نائب فى الأرياف.ومن صفات الحوار الناجح من الناحية الفنية هو أن تكون لغته لغة الشخصيات التى يجرى الكاتب الحوار بينهما. وإليک نموذجا قد حاول الكاتب أن يأتى بالألفاظ التى يستخدمها المتحاورون فى محاوراتهم:

«ولم أترک لها مجالاً لثرثرة... فقد انتهرتها:

_ كلمة ورد غطاها يا ولية... من فى الحاضرين الخاطب؟

فدنت من أقرب الفتيان إليها، ونظرت إليه بعينها العمشاء نظرة العرضحا لجى الأضبش إلى عريضة يرفعها فى يده حتى تمس أنفه وقالت فى صوت خافت يريد ألايصل إلى مسامعى...

– أنت يا أدلعدى مش اسمک حسين؟

فأدركت فى الحال مبلغ علم المرأة بما انتدبت لأجله وقلت لها فى شدة:

– كل الجدعان اللى قد امک يا وليه اسمهم حسين... قطعية لفظتها المرآة فى صوت الواقع فى حيرة من أمره ثم اتجهت إلى التالى وسألته:

www.SID.ir

– أنت مين يا جدع أنت؟

فأجابها الرجل فى صوت هادئ:

– من امبابة يا ستى!

فقالت على الفور فى لهجة الجد:

– دى بلد الحمير يا جدعان... دا كان مرة أدلعدى جزرى اشترى منها حمار... .

فلم أتمالك أن صحت:

– اخرجى يا قرشانة يا وحشية يا قليلة الحيا... ضيعت وقتنا نهار بحاله... إخص على دى شهود...» (المصدر السابق: ۱۳۹)

يجرى الحوار السابق بين وكيل النيابة وامرأة تدعى أنها تعرف الخاطب، ونشاهد أن الكاتب قد أتى بنفس الكلمات والألفاظ التى خرجت من فمها باللهجة العامية. ونلاحظ مستوى هذه اللغة، فهى بسيطة وسهلة لمن يقرأها لأن اللهجة العامية فى الحقيقة لغة الناس فى كل مكان.وعلى كل حال دور الحوار هام فى رواية يوميات نائب فى الأرياف، ويتبادل فيه الكلام بين الأشخاص المختلفين من الفئات المختلفة، فتسير الرواية إلى الأمام أو تحلل الشخصيات.

النجوى أو المونولوج الداخلى

النجوى هى صوت داخلىّ، لايسمعه إلا صاحبه ولها دور كبير فى الرواية، وفى الحقيقة إن الكاتب يستطيع أن ينقل الكثير من انفعالات الشخصيات ونياتهم وآمالهم إلى القارئ بوسيلة النجوى الداخلية... ويلزم فى لغة المناجاة كما فى غيرها، الخفة والسهولة والعذوبة.

والمونولوج هو الأداة الأكثر اتساعاً بعد السرد، فكان هو وسيلة الكاتب أن يعود إلى بداية الرواية أو إلى الأحداث التى جرت قبل حلول الأزمة.

«رأيت أن الطريق الوحيد بعد ذلک أن أبحث عن ذلک الخاطب الذى كان قد تقدم البنت ريم... ولكن كيف نستدل عليه ونحن لا نعرف حتى اسمه!... فلنطلب إذن إلى

Archive of SID

www.SID.ir

المركز أن يإتى إلينا بأحد الجيران لعله يعرف الخاطب... وليكن الجار امرأة فإن المرأة بطبعها فضولية ثرثارة... فما من جارة لاتعرف أسماء الخاطبين والمخطوبات فى الحارة ولكن هل أستطيع الآن أكلف المركز بإحضار شاهد أو بالبحث عن مجرم؟» (المصدر السابق: ١٣١)

فى هذه النجاوى نحن نعرف ما سيفعله الكاتب، وتمضى القصة فى مسيرتها إلى الأمام ومن ذلک النوع تصميم وكيل النيابة الذهاب إلى منزل مأمور المركز الذى كانت البنت ريم فى بيته: «فجأة خطر لى أن ارتدى ثيابى وأن أنزل الطريق وأدور حول منزل المأمور... وما هذا الجنون...؟ أنا أفعل ذلک؟ وإذا ضبطنى خفير الدرک؟ إنه قد يعرف شخصى فيعتذر، ولكن سيخبر الناس ويشيع الخبر وتكون فظيعة... ولا مفر إذن من انتظار الصباح وما يأتى به...

على أن الله لطف بى آخر الأمر فأرسل إلى إشارة تليفونية، طالعتها فى الحال، فإذا هى واقعة تافهة مما لانقوم لمثلها...» (المصدر نفسه: ١١٢)

وبالنجاوى أيضاً تتكشف مستوى بعض الشخصيات من حيث عقيدتهم وما لديهم من قوة الملاحظة والتفكر وتفترق النجاوى الداخلية بين الأشخاص فى الرواية متناسباً لعقليتهم ودرجة حضارتهم.وإليک هذه النجوى بلسان وكيل النيابة الذى يبين لنا قوة ملاحظته ومدى تفكره فى الحياة:

«يخيل إلى أن هذه الجثث والعظام قد فقدت لدينا فيها من رموز... فهى لاتعدو فى نظرنا قطع الأخشاب وعيدان الحطب وقوالب الطين والآجر... إنها أشياء تتداولها أيدينا فى عملنا اليومى... لقد انفصل عنها ذلک الرمز الذى هو كل قوتها... نعم وماذا يبقى من كل تلک الأشياء العظيمة المقدسة التى لها فى حياتنا البشرية كل الخطر لو نزعنا عنها ذلک الرمز، أيبقى منها أمام أبصارنا اللاهية غير المكترثة غير جسم مادى مجرد وعظم لايساوى شيئاً ولايعنى شيئاً... ما مصير البشرية وما قيمتها لوذهب عنها الرمز... الرمز هو فى ذاته كائن لا وجود له... هو لاشئ... وهو مع ذلک كل شئ فى حياتنا الآدمية هذا اللاشئ الذى نشيد عليه حياتنا هو كل ما نملک وسمو نختال به ونمتاز على غيرنا

Archive of SID

www.SID.ir

من المخلوقات... هنا كل الفرق بين الحيوانات العليا والحيوانات الدنيا...» (المصدر نفسه: ۱۳۱)

أما الموضوع الذى يليق بنا أن نذكره فهو إن كل هذه النجاوى التى موجودة فى الرواية تجرى على لسان وكيل النيابة فقط، لأنه هو الكاتب وبطل الرواية وهو يتكلم فى الرواية كما ذكرنا سابقا بأن هذه الرواية على طريقة المذكرات اليومية التى يحكى الكاتب ما حدث له:

«فكرت مليئاً فى أمر ذلک الخطاب من ترى يكون مرسله المجهول؟... الأسلوب ينم عن أن صاحبه أزهرى فسد... هذه الآية القرآنية وهذا التوزيع لايصدران إلا عن هذا الصنف الذى يستقل علمه القليل وجهل الناس المطبق فى الريف، فيعيش على تحرير البلاغات المأجورة وبذر الشقاق بين الأسر والأفراد... ولكن فى هذا الخطاب على أى حال وقائع تسترعى التحقيق... ولو صح ما جاء فيه من أن زوجة قمر الدولة قتلت، لخرجنا من الأمر بجناية تمخضت عن جناية! لا فائدة الآن البحث عن صاحب الخطاب بقدر ما يهمنا التأكد من صحة الاتهام...» (المصدر السابق: ۱۰۳)

الوصف

الوصف أداة من أدوات الكاتب فى بناء القصة يصور البيئة التى تجرى فيها الأحداث، ويرسم شكل الشخصية من الخارج، وبه قد يرسم صورة للنفس، نفس الشخصية من الداخل. ما هو الدور الذى أداه الوصف فى رواية يوميات نائب فى الأرياف؟ لا بد من الوصف فى الرواية لأنه من الوسائل التعبيرية الرئيسة ونستطيع أن نستشف هذا الفن القصصى فى روايتنا من زوايا مختلفة نذكرها باختصار:

إن الكاتب قد استفاد من الوصف فى روايته عندئذ يريد أن يقدّم إلينا الشخصيات عن طريق الوصف: «وقد وصفنا الوجه خير وصف؛ هو رجل قارب الأربعين وسيم قسيم، تلک الوسامة الريفية بما فيها من رجولة وصحة وقوة. ولم يفتنا ذكر وشم العصفور المرسوم فى أعلى صدغه ولا لون شاربه الضارب إلى الصفرة والثياب أحصيناها من

Archive of SID

www.SID.ir

الدفية والجلباب الغزلى، وكيس النقود الذى لم يمس إلى السروال البفتة الأبيض ذى التكة الحمراء. نعم لم ننس تكة اللباس ونوع نسيجها، فإن ذكر التفاصيل دليل على الدقة والعناية...» (المصدر نفسه: ١٣)

هذه العبارة وصف لقمر الدولة علوان المصاب من الناحية الخارجية، فى مزارع قصب بعد أن أطلق عليه عيار نارى ووكيل النيابة قد وصفه لتكميل المحضر وصفاً دقيقاً مع ذكر التفاصيل.ونرى فى مكان آخر فى الرواية أن توفيق الحكيم قد استفاد من هذا الفن لتوصيف البيئة خلال الرواية: هنا نذكر نموذجين من هذا والعبارة التالية هى وصف مخزن النيابة من الأماكن الموجودة فى الرواية: «وعرجت مخزن النيابة فى طريقى أفتشه بالمرة، وهو عبارة من حجرة تشبه دكان ألف صنف، فيها من أصناف البنادق والعذارات الريفية والسكاكين والشراشر والمناجل والفووس والبلط والنبابيت والهروات واللبلد والبلغ والجلابيب الملطخة بالدم والطين والصدارى المثقوبة بالرش والبارود، كل عليه رقمه وتاريخ ضبطه ورقم القضية التى ضبط على ذمتها... وعندى أن نظرة واحدة تلقى فى مخزن نيابة أى بلد تدل فى الحال على لون هذا البلد وعقيلة ودرجة حضارته...» (المصدر نفسه: ١۴۶) وإليک فى هذا المجال نموذجاً آخر قديصف الكاتب دار العمدة فى الريف: «وجلسنا فى المنظرة على فرش من قطيفة، ذهب وبرها ولونها، ووضع الكاتب أوراقه على خوان أعرج، تعلوه رخامة مسكورة، ونشر المحضر تحت مصباح كبير له دوى وطنين قد جمع حوله هوام الليل، وصحت أطلب الشهود. فصاح المأمور لصياحى:

– اجمع الشهود يا حضرة المعاون.

وارتمى على مقعد رحب فى ركن الحجرة ارتماءة أدركت معها أن ليس بعدها غير نعاس غطيط، وجلس مساعدى على مقربة منى برمق ما يجرى بعيون فاترة، تنم عن كسل بدأ يداعبها مداعبة النسيم الأوراق...» (المصدر نفسه: ١۴۶)

أما لغة الوصف فى هذه الرواية، فهى لغة سهلة واضحة بذلک تجمع بين السهولة والبساطة بما يناسب الأحداث والشخصيات كما قرأنا فى الأمثلة السابقة الذكر. والنموذج

www.SID.ir

التالى الذى يصف توفيق الحكيم القلم وصفاً جميلاً حيث يقول: إن القلم لنعمة لأمثالنا ممن كتبت عليهم الوحدة، ولكن القلم كالجواد ينطلق أحيانا من تلقاء نفسه كالطائر المرح، وأحيانا يحزن ويثبت على قدميه ويأبى أن يتقدم، كأن فى طريقه أفعى رافعة الرأس، وهو الساعة يهتز فى يدى ويرقص ولايطبعنى كأن شيئاً يخفيه أو يقصيه عن مروج الأحلام...

المصادر والمراجع

البحراوى، سيد. ۱۹۹۶م. *محتوى الشكل فى الرواية العربية*. النصوص المصرية الأولى. القاهرة: الهيئة المصرية العامّة للكتابة.

جمع من الؤلفين. لاتا. *المفيد فى الأدب العربى*. ج۲. لبنان: دار الملايين.

حقّى، يحيى. ۱۹۸۶م. *فجر القصة المصرية*. القاهرة: المنبة الثقافية المصرية العامّة للكتاب.

الحكيم، توفيق. ۱۹۸۸م. *يومّيات نائب فى الأرياف*. القاهر: مكتبة مصر.

عبد الغنى، المصطفى. لاتا. *الاتجاه القومى فى الرواية*. بيروت: عالم المعرفة.

ميرصادقى، جمال. ۱۳۸۵ش. *عناصر داستان*. الطبعة الخامسة. تهران: سخن.

ميرصادقى،جمال وميمنت. ۱۳۷۷ش. *واژه نامه هنر داستانى*. تهران: مهناز.

هيكل، محمد حسن. لاتا. *ثورة الأدب*. مصر: دار المعارف.

يونسى، إبراهيم. ۱۳۶۹ش. *هنر داستان نويسى*. تهران: نگاه.

Archive of SID

www.SID.ir